

الفنان الأردني : فادي الداود: حياكة اللون في السطح التصويري.

برز اسم الفنان فادي الداود كقيمة تشكيلية بائلة في التشكيل الأردني، ويعتبر من الأسماء الجديدة التي شقت طريقها بثقة عالية، تجربة تتحدث عن نفسها منذ هواجسها الأولى، حيث شرب بصريات المكان الذي سكنه وأقام فيه كفعل بصري محمولا بأسئلة كبيرة من ذاكرة اشتبكت باكرا بحياة اللوحة ومتطلبات الفعل التصويري، وأعتقد أن الظروف التي أتاحت للداود عبر اشتباكه مبكرا مع فنانيين عرب كانوا يقيمون ورشات عديدة في رواق البلقاء العائد إلى أبيه خلدون الداود، ساعدت في وعيه المبكر في فهم العمل الفني ومتطلباته التقنية والبنائية.

فكان العين التي تختبر تلك الأفعال المتنوعة بأساليبها وطرائق تقنياتها ليذهب بعيدا إلى بئر روحه ويصغي إلى إمكانات الأداء الذي يفارق ما شاهده من تجارب، فوجد منطقة تخصه بغض النظر عن الموضوعات المطروحة لدى الآخرين، حيث أصبحت ريشته بمثابة إبرة يحوك من خلالها تلك الخيوط اللونية المتراكمة بصورة أقرب إلى مقطع من قميص حاكته جدته هناك.

فهو فنان مصاب بالحنين والأسئلة التي لا تنتهي، تلك الأسئلة التي جعلت منه فنانا متجاوزا أبناء جيله، حيث أتاحت له الفرصة المبكرة للاشتباك بأفعال التشكيل العربي، عبر المشاهدات والمناكفات في أسئلة لا تنتهي عند شاب شغوف بمعرفة كل شيء مرة واحدة، وكانت علامات التمرد بائلة عليه منذ هواجسها الأولى في الخروج عن مسارات الآخرين والبحث عن مسار يعبر عن طاقة وثابة تنتمي لروحه ولثقافته وصولا لسطوة المكان وحكاياته.

فهو يدرك بلا ريب أن طريقه في مسار غير الذي يراه دون إنكاره، لذلك استجاب لفكرة متفردة في نسيجه اللوني الذي يشكل مرجعية لها علاقة غير مباشرة بأكثر من مرجعية في الذاكرة، الأولى تتمثل بالنسيج الذي تتشابك خطوطه لتنتج شكلا فنيا بائنا والأمر الآخر طبيعة الصخور البتراوية التي شربها في رحلاته دون أن يدرك ذلك، كانت تلك الحروز اللونية قد دخلت طبائع التقنية التصويرية في أعمال الداود، لتبدأ رحلته الحقيقية من هناك.

كان ملتصقا بمرئياته إلى حد التوحد بل هي المؤونة الرئيسة في تحفيزه على الرسم والتلوين، من خلال مجموعة من الحكايات التي تتمثل بشخصيات تتحرك في

الأسطورة الشعبية والعربية، أساطير معاصرة تتجول في فكره منها على سبيل المثال لا الحصر أسطورة سيدة الغناء العربي " أم كلثوم " التي أخذت حيزا مهما في تحويلاته التصويرية، والتي قدم من خلالها قدرته على البناء الوثائق في عمله الفني، وأعتقد أن الحلول التي وجدها في ثيمة النسيج اللوني هي الفكرة الأساسية التي جعلت من عمله الفني كلية متماسكة، فكل مساحة تتردد في المساحة المقابلة كما لو أنها نوتة موسيقية ملونة لا نشاز فيها.

فالصوت المخبوء في مجمل أعماله يشي بمعزوفات لونية تتردد من خلال تلك الخيوط اللونية النسيجية ، بل وتدلنا على إيقاعات تتخفى في ثنايا أوتار اللون، حيث تضع مشاهدتها في صورة الخيوط التي تتداخل وتتفارق في نقطة معينة، ونرى مجموعة من الأيدي تعزف على آلة موسيقية واحدة كجزء من إظهار ترددات الصوت في التكوين اللوني، فآلة العود الذي يعزف عليها العازف تتردد يداه في أكثر من موقع على الآلة، حيث حوّل الأيدي إلى ترددات شكلية تدلنا على صوت العود في أوتاره اللونية وحزوزه التي تشكل مسقى للصوت واللون معا.

فهي أعمال تلبس ثوب الإيقاع وتؤسس لصيغة تمتلك التفرد في طبائع السطح التصويري لدى الداود، إنها المقام اللوني الذي يدور في تفاصيل المساحات المشغولة في تقنية الإمتلاء المموسق، حيث تتحالف مع الصوت الخفيض في الآلة الموسيقية وتصعد من خلال فم أم كلثوم كما لو أنها تصرخ في لوحة التجليات الخطوطية والتي جعلت من أم كلثوم على الرغم من وجود تجارب كثيرة تناولت ذات الموضوع إلا أن الداود نأى بكلثومه إلى مرجعية المكان الأردني وأعاد التآلق إلى بهاء تلك الخطوط عبر موضوعه الغناء.

ويذكرني هذا الأمر بما ذهب إليه ابن عربي الذي عدّ الذوق بمثابة الطريق الوحيد للوصول إلى الحق وكذلك ما ذهب إليه جلال الدين الرومي بقوله: "كثير من الطرق تقود إلى الحق، أما أنا فقد اخترت طريق الموسيقى والرقص".

فكان للرقص المولوي مسار مؤكد في تجربة الداود، فبدي كفعل حركي دائري يُظهر من خلال صياغات هذا الموضوع " المولوية" بصورة فاعلة في الحركة والإحساس بسرعتها وإنمائها وتلاشيها في حركة الراقص المتجلي، وغالبا ما يظهر راقص المولوية بصورته الأحادية المتفانية في حالة التجلي والفناء، فقد أظهر طبيعة لباس المولوي من الطربوش والثوب، فقد شكلت تلك العناصر صورة قوية لطقسية المولوية.

فيبدو لي ان الداود قد اختار الفعل الإيقاعي المتتالي بمنظومة متزنة لتكون تلك
المنظومة الرافعة الأساسية لتفرد الصوت داخل السطح التصويري.

وفي هذا المقام استطاع الداود أن يحفر مساره الفني بصورة مختلفة فلم يركز على
الأكاديميات التقليدية بل اختصر الطريق ليصغي لحواسه كصوفي راءٍ يحول البعيد
إلى قريب في روح الأشياء، فمما لا شك فيه إن تجربته تجربة لافتة تستحق منا
التعامل معها بمعزل عن مرجعياته الأولى، فهي الطريق الواثق في مسار الفن
التشكيلي الاردني، وقد استقبلت تجربة الداود أهم غاليريات عمان كاعتراف مؤكد
على حرفية التجربة ونضجها وأهميتها.

فادي الداود مسار فني غائر في الذات والمكان والحكاية الشعبية، لا يترك المرئي
يمر على ذاكرته بسهولة، بل يحوله إلى سؤال معرفي وفني ليترك أثرا جديدا في
كل تجربة يقدمها الداود.

محمد العامري- الاردن

فنان وناقد- 2021